الفصل الثاني
سرية عبد الله بن أُنَيْس الجُهَني ﷺ
لقتل خالد بن سفيان الهُذَلي الذي كان يحشد لرسول الله ﷺ
الاثنين ٥ المحرم سنة ٤ هـ / ١٧ يونيه (حزيران) ٦٢٥ م / ٢٣ بؤنة ٣٤١ قبطي

المبحث الأول
عرض سرية عبد الله بن أُنَيْس الجُهَني ﷺ

أولاً: عرض السرية من كتب السنة والسيرة:

نقلت الاستخبارات الإسلامية أن رجلًا من أشداء الأعراب وشياطينهم يُدعى خالد بن سفيان بن نبيح الهُذَلي يحشد الجموع ـ وبنشاط كبير وملحوظ ـ لحرب المسلمين، فأرسل إليه النبي ﷺ عبد الله بن أنيس ﷺ ليقضي عليه، فخرج في اليوم الخامس من شهر المحرم سنة ٤ هـ.

قال ابن سعد: «ثُمَّ سَرِيَّةُ عَبدِ الله بنِ أُنَيسٍ ﷺ إِلَى سُفيانَ بن خالِد بن نُبَيحٍ الهُذَلِي بِعُرَنَةَ، خَرَجَ مِنَ المَدينَة يَومَ الاِثنَين لِخَمسٍ خَلَونَ مِنَ المُحَرَّم، عَلَى رَأس خَمسَةٍ وثَلاثِينَ شَهرًا مِن مُهاجَر رَسُولِ الله ﷺ». [الطبقات الكبير ٢/ ٤٧ رقم ١٦٤٩].

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ أُنَيْسٍ ﷺ قَالَ: دَعَانِي رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ خَالِدَ بْنَ سُفْيَانَ بْنِ نُبَيْحٍ الْهُذَلِي يَجْمَعُ لِي النَّاسَ لِيَغْزُوَنِي، وَهُوَ بِعُرَنَةَ** (١)، **فَأْتِهِ [اذْهَبْ]فَاقْتُلْهُ**».

قَالَ: قُلتُ: **يَا رَسُولَ الله، انْعَتْهُ لِي حَتَّى أَعْرِفَهُ**، قَالَ: «**إِذَا رَأَيْتَهُ وَجَدْتَ لَهُ إِقْشَعْرِيرَةً**» (قال السندي: «إِقْشَعْرِيرَة» المشهور قُشَعْرِيرَة، بلا ألف، وهي قيام الشعر على الجلد، وهي الرِّعدة، كما في اللسان وغيره. هامش المسند لأحمد ٢٥/ ٤٤٣].

قَالَ: فَخَرَجْتُ مُتَوَشِّحًا بِسَيْفِي، حَتَّى وَقَعْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ بِعُرَنَةَ مَعَ ظُعُنٍ (النساء في الهوادج) [فِي ظَهْرٍ] (في جِمال للنساء) يَرْتَادُ (يطلب) لَهُنَّ مَنْزِلًا، وَحِينَ كَانَ وَقْتُ العَصْرِ (أي وصلتُ إليه، أو وقعتُ عليه، ففيه تقديرٌ تركه اعتمادًا على السابق)، فَلَـمَّا رَأَيْتُهُ وَجَدْتُ مَا وَصَفَ لِي رَسُولُ الله ﷺ مِنْ الإِقْشَعْرِيرَةِ، فَأَقْبَلْتُ

---

(١) **عُرَنَة**: هو الوادي الفحل الذي يخترق أرض المغمس، فيمر بطرف عرفة من الغرب عند مسجد نمرة، ثم يجتمع مع وادي نعمان غير بعيد من عَرَفة موقف الحجيج، ثم يأخذ الواديان اسم عرنة، فيمر جنوب مكة على حدود الحرم، ثم يُغرب حتى يفيض في البحر جنوب جدة على قرابة ثلاثين كيلو مترًا، وهو من الأودية الفحول ذات السيول الجارفة، زراعته قليلة، فيه زرائع على الضخ الآلي، وبطن عرنة هو بطن الوادي الذي فيه مسجد عرفة. قال ابن المواز: حائط مسجد عرفة القبلي على حد عرنة، ولو سقط ما سقط إلا فيها. السرايا والبعوث لبريك ١٥٦، معجم ما استعجم للبكري ٤/ ١١٩١، ومعجم معالم السيرة للبلادي ٢٠٥.

نَحْوَهُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مُحَاوَلَةٌ (**المُحَاوَلَة**: طلب الشيء بحيلة) تَشْغَلُنِي عَنْ الصَّلاةِ [مَا إِنْ أُؤَخِّرِ الصَّلاةَ]، فَصَلَّيْتُ وَأَنَا أَمْشِي نَحْوَهُ أُومِئُ بِرَأْسِي الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، فَلـمَّا انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ [دَنَوْتُ مِنْهُ] قَالَ [لِي]: مَنِ الرَّجُلُ؟ قُلتُ: **رَجُلٌ مِنْ العَرَبِ سَمِعَ بِكَ وَبِجَمْعِكَ [بَلَغَنِي أَنَّكَ تَجْمَعُ] لِهَذَا الرَّجُلِ، فَجَاءَكَ [فَجِئْتُكَ] لِهَذَا**، قَالَ: **أَجَل أَنَا فِي ذَلِكَ [إِنِّي لَفِي ذَاكَ]**، قَالَ: فَمَشَيْتُ مَعَهُ شَيْئًا، [سَاعَةً] حَتَّى إِذَا أَمْكَنَنِي حَمَلتُ عَلَيْهِ السَّيْفَ حَتَّى قَتَلْتُهُ [عَلَوْتُهُ بِسَيْفِي حَتَّى بَرَدَ (كناية عن موته)]، ثُمَّ خَرَجْتُ، وَتَرَكْتُ ظَعَائِنَهُ مُكِبَّاتٍ (أي ساقطات باكيات، اسم فاعل من أكب بتشديد الباء) عَلَيْهِ.

فَلـمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَرَآنِي، فَقَالَ: «**أَفْلَحَ الوَجْهُ**»، قَالَ: قُلْتُ: **قَتَلْتُهُ يَا رَسُولَ الله**، قَالَ: «**صَدَقْتَ**»، قَالَ: ثُمَّ قَامَ مَعِي رَسُولُ الله ﷺ فَدَخَلَ فِي بَيْتِهِ فَأَعْطَانِي عَصًا، فَقَالَ: «**أَمْسِكْ هَذِهِ عِنْدَكَ يَا عَبْدَ الله بْنَ أُنَيْسٍ**»، قَالَ: فَخَرَجْتُ بِهَا عَلَى النَّاسِ، فَقَالُوا: مَا هَذِهِ العَصَا؟ قَالَ: قُلتُ: أَعْطَانِيهَا رَسُولُ الله ﷺ وَأَمَرَنِي أَنْ أَمْسِكَهَا، قَالُوا: أَوَلا تَرْجِعُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَتَسْأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقُلتُ: **يَا رَسُولَ الله، لِمَ أَعْطَيْتَنِي هَذِهِ العَصَا؟** قَالَ: «**آيَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَوْمَ القِيَامَةِ، إِنَّ أَقَلَّ النَّاسِ المُتَخَصِّرُونَ** (المُتَخَصِّرُ: من يمسك العصا بيده، وقد يتكئ عليها، قيل: المراد ها هنا هم الذين يأتون يوم القيامة ومعهم أعمال صالحة يتكؤون عليها) **يَوْمَئِذٍ يَوْمَ القِيَامَةِ**»، فَقَرَنَهَا عَبْدُ الله بِسَيْفِهِ، فَلَمْ تَزَل مَعَهُ حَتَّى إِذَا مَاتَ أَمَرَ بِهَا فَصُبَّتْ مَعَهُ فِي كَفَنِهِ، ثُمَّ دُفِنَا جَمِيعًا». [مسند أحمد ٢٥/ ٤٤٠-٤٤٤ رقم ١٦٠٤٧، ١٦٠٤٨، وصحيح ابن حبان ١٦/ ١١٤ رقم ٧١٦٠، وأبو داود في الصلاة (١٢٤٩)، وحسن الحافظ في الفتح إسناد أبي داود. فتح الباري ٧/ ٤٤٠ كتاب المغازي باب غزوة الرجيع. ومجمع الزوائد ٦/ ٣٠١ كتاب المغازي والسير رقم ١٠٣٤٤، وقال الهيثمي: روى أبو داود بعضه، ورواه أحمد وأبو يعلى [مسند أبي يعلى ٢/ ٢٠١ رقم ٩٠٥] بنحوه، وفيه راو لم يسم وهو ابن عبد الله بن أنيس، وبقية رجاله ثقات. وقال الشيخ الصوياني: فالسند حسن والحديث صحيح. السيرة النبوية ٢/ ٢٩٠، وصحيح السيرة النبوية للعلي ص ٢٣٨ رقم ٣٩٤].

وعَنْ مُحَمَّدِ بن كَعْبٍ القُرَظِيِّ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ الله بن أُنَيسٍ ﷺ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا: «**مَنْ لِي مِنْ خَالِدِ بن نُبَيْحٍ رَجُلٍ مِنْ هُذَيْلٍ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ بِعُرَنَةَ؟**»، قَالَ عَبْدُ الله: فَقُلتُ: **أَنَا يَا رَسُولَ الله، انْعَتْهُ لِي**، فَقَالَ: «**لَوْ رَأَيْتَهُ هِبْتَهُ**»، فَقُلْتُ: **وَالَّذِي أَكْرَمَكَ، مَا هِبْتُ شَيْئًا قَطُّ**، فَخَرَجْتُ حَتَّى لَقِيتُهُ بِجِبَالِ عُرَنَةَ قَبْلَ أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ، فَلَقِيتُهُ، فَرُعِبْتُ مِنْهُ، فَعَرِفْتُ حِينَ رُعِبْتُ مِنْهُ الَّذِي قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: مَنِ الرَّجُلُ، فَقُلتُ: **بَاغِي حَاجَةٍ، فَهَل مِنْ مَبِيتٍ؟** قَالَ: **نَعَمْ، فَالحَقْ بِي**، قَالَ: فَخَرَجْتُ فِي أَثَرِهِ، فَصَلَّيْتُ العَصْرَ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ، وَأَشْفَقْتُ أَنْ يَرَانِي، ثُمَّ لَحِقْتُهُ فَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ، ثُمَّ غَشِيتُ الجَبَلَ، وَكَمُنْتُ، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ النَّاسُ خَرَجْتُ، حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ المَدِينَةَ فَأَخْبَرْتُهُ الخَبَرَ.

وقَالَ مُحَمَّدُ بن كَعْبٍ: فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ ﷺ مُخْصَرَةً، فَقَالَ: «**تَخَصَّرْ بِهَذِهِ حَتَّى تَلْقَانِي بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَقَلُّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ المُتَخَصِّرُونَ**».

وقَالَ مُحَمَّدُ بن كَعْبٍ: فَلَـمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ الله بن أُنَيْسٍ ﷺ أَمَرَ بِهَا، فَوُضِعَتْ عَلَى بَطْنِهِ، وَكُفِّنَ عَلَيْهَا، وَدُفِنَتْ مَعَهُ. [مجمع الزوائد ٦/ ٣٠٢ كتاب المغازي والسير (١٠٣٤٥)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ١٣/ ١٣٥ رقم ٣٣٥]، ورجاله ثقات].

وفي رواية كُتَّاب السيرة بعض الإضافات حيث يقول الواقدي: قَالَ عَبْدُ الله بْنُ أُنَيْسٍ ﷺ: خَرَجْتُ مِنْ المَدِينَةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ لِخَمْسٍ خَلَوْنَ مِنْ المُحَرَّمِ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعَةٍ وَخَمْسِينَ شَهْرًا، فَغِبْتُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَقَدِمْتُ يَوْمَ السَّبْتِ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ المُحَرَّمِ.

قَالَ الوَاقِدِيُّ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: بَلَغَ رَسُولَ الله ﷺ أَنَّ خَالد بْنَ سُفْيَانَ بْنِ نُبَيْحٍ الهُذَلِيَّ، ثُمَّ اللِّحْيَانِيَّ، وَكَانَ نَزَلَ عُرَنَةَ وَمَا حَوْلَهَا فِي نَاسٍ مِنْ قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ، فَجَمَعَ الجُمُوعَ لِرَسُولِ الله ﷺ وَضَوَى إِلَيْهِ بَشَرٌ كَثِيرٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ.

فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ عَبْدَ الله بْنَ أُنَيْسٍ ﷺ، فَبَعَثَهُ سَرِيَّةً وَحْدَهُ إِلَيْهِ لِيَقْتُلَهُ، وَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**انْتَسِبْ إِلَى خُزَاعَةَ**»، فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ أُنَيْسٍ ﷺ: يَا رَسُولَ الله، مَا أَعْرِفُهُ، فَصِفْهُ لِي، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّكَ إِذَا رَأَيْتَهُ هِبْتَهُ وَفَرِقْتَ مِنْهُ، وَذَكَرْتَ الشَّيْطَانَ**»، وَكُنْتُ لا أَهَابُ الرِّجَالَ، فَقُلْتُ: **يَا رَسُولَ الله! مَا فَرِقْتُ مِنْ شَيْءٍ قَطُّ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**بَلَى، آيَةٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ أَنْ تَجِدَ لَهُ قُشَعْرِيرَةً إِذَا رَأَيْتَهُ**».

وَاسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ أَقُولَ، فَقَالَ: «**قُلْ مَا بَدَا لَكَ**»، قَالَ: فَأَخَذْتُ سَيْفِي لَمْ أَزِدْ عَلَيْهِ، وَخَرَجْتُ أَعْتَزِي (أنتمي) إِلَى خُزَاعَةَ، فَأَخَذْتُ عَلَى الطَّرِيقِ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى قُدَيْدٍ، فَأَجِدُ بِهَا خُزَاعَةَ كَثِيرًا، فَعَرَضُوا عَلَيَّ الحُمْلانَ وَالصَّحَابَةَ، فَلَمْ أُرِدْ ذَلِكَ، وَخَرَجْتُ حَتَّى أَتَيْتُ بَطْنَ سَرِفَ، ثُمَّ عَدَلْتُ حَتَّى خَرَجْتُ عَلَى عُرَنَةَ، وَجَعَلْتُ أُخْبِرُ مَنْ لَقِيت أَنِّي أُرِيدُ خَالد بْنَ سُفْيَانَ ؛ لأَكُونَ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِبَطْنِ عُرَنَةَ لَقِيتُهُ يَمْشِي، وَوَرَاءَهُ الأَحَابِيشُ وَمَنْ اسْتَجْلَبَ وَضَوَى إِلَيْهِ.

فَلَـمَّا رَأَيْتُهُ هِبْتُهُ، وَعَرَفْتُهُ بِالنَّعْتِ الَّذِي نَعَتَ لِي رَسُولُ الله ﷺ، وَرَأَيْتنِي أَقْطُرُ (أي أتصبب عرقًا)، فَقُلْتُ: **صَدَقَ الله وَرَسُولُهُ!** وَقَدْ دَخَلتُ فِي وَقْتِ العَصْرِ حِينَ رَأَيْتُهُ، فَصَلَّيْتُ وَأَنَا أَمْشِي أُومِئُ إِيمَاءً بِرَأْسِي، فَلَـمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ قَالَ: **مَنِ الرَّجُلُ؟** فَقُلتُ: **رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ، سَمِعْتُ بِجَمْعِكَ لِـمُحَمَّدٍ، فَجِئْتُكَ لأَكُونَ مَعَكَ**، قَالَ: **أَجَل إِنِّي لَفِي الجَمْعِ لَهُ.**

فَمَشَيْتُ مَعَهُ وَحَدَّثْتُهُ فَاسْتَحْلَى حَدِيثِي، وَأَنْشَدْتُهُ شِعْرًا، وَقُلْتُ: **عَجَبًا لِمَا أَحْدَثَ مُحَمَّدٌ مِنْ هَذَا الدِّينِ المُحْدَثِ، فَارَقَ الآبَاءَ وَسَفَّهَ أَحْلامَهُمْ**، قَالَ: **لَمْ يَلقَ مُحَمَّدٌ أَحَدًا يُشْبِهُنِي**، قَالَ: وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصًا يَهُدُّ

الأَرْض، حَتَّى انْتَهَى إِلَى خِبَائِهِ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ إِلَى مَنَازِلَ قَرِيبَةٍ مِنْهُ، وَهُمْ مُطِيفُونَ بِهِ، فَقَالَ: **هَلُمَّ يَا أَخَا خُزَاعَةَ**، فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَقَالَ لِجَارِيَتِهِ: أُحْلُبِي، فَحَلَبَتْ، ثُمَّ نَاوَلَتْنِي، فَمَصَصْتُ، ثُمَّ دَفَعْتُهُ إِلَيْهِ، فَعَبَّ كَمَا يَعُبُّ الجَمَلُ، حَتَّى غَابَ أَنْفُهُ فِي الرَّغْوَةِ، ثُمَّ قَالَ: اجْلِسْ، فَجَلَسْتُ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا هَدَأَ النَّاسُ وَنَامُوا وَهَدَأَ اغْتَرَرْتُهُ (أي أخذته في غفلة) فَقَتَلْتُهُ، وَأَخَذْتُ رَأْسَهُ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ وَتَرَكْتُ نِسَاءَهُ يَبْكِينَ عَلَيْهِ، وَكَانَ النَّجَاءُ مِنِّي، حَتَّى صَعِدْتُ فِي جَبَلٍ، فَدَخَلتُ غَارًا.

وَأَقْبَلَ الطَّلَبُ مِنَ الخَيْلِ، وَالرِّجَالِ تَوَزَّعُ فِي كُلِّ وَجْهٍ، وَأَنَا مُخْتَفٍ فِي غَارِ الجَبَلِ، وَضَرَبَتْ العَنْكَبُوتُ عَلَى الغَارِ، وَأَقْبَلَ رَجُلٌ وَمَعَهُ إِدَاوَةٌ (إناء صغير من جلد يُتخذ للماء) ضَخْمَةٌ، وَنَعْلاهُ فِي يَدِهِ، وَكُنْتُ حَافِيًا، وَكَانَ أَهَمُّ أَمْرِي عِنْدِي العَطَشَ، كُنْتُ أَذْكُرُ تِهَامَةَ وَحَرَّهَا، فَوَضَعَ إِدَاوَتَهُ وَنَعْلَهُ وَجَلَسَ يَبُولُ عَلَى بَابِ الغَارِ، ثُمَّ قَالَ لأَصْحَابِهِ: لَيْسَ فِي الغَارِ أَحَدٌ.

فَانْصَرَفُوا رَاجِعِينَ، وَخَرَجْتُ إِلَى الإِدَاوَةِ، فَشَرِبْتُ مِنْهَا، وَأَخَذْتُ النَّعْلَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، فَكُنْتُ أَسِيرُ اللَّيْلَ، وَأَتَوَارَى النَّهَارَ، حَتَّى جِئْتُ المَدِينَةَ، فَوَجَدْتُ رَسُولَ الله ﷺ فِي المَسْجِدِ، فَلَمَّا رَآنِي، قَالَ: «**أَفْلَحَ الوَجْهُ**»، قُلْتُ: أَفْلَحَ وَجْهُكَ يَا رَسُولَ الله، فَوَضَعْتُ رَأْسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي، فَدَفَعَ إِلَيَّ عَصًا، فَقَالَ: «**تَخَصَّرْ بِهَذِهِ فِي الجَنَّةِ، فَإِنَّ المُتَخَصِّرِينَ فِي الجَنَّةِ قَلِيلٌ**».

فَكَانَتْ عِنْدَ عَبْدِ الله بْنِ أُنَيْسٍ ﷺ حَتَّى إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ أَوْصَى أَهْلَهُ أَنْ يُدْرِجُوهَا فِي كَفَنِهِ.

وَكَانَ قَتْلُهُ فِي المُحَرَّمِ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعَةٍ وَخَمْسِينَ شَهْرًا. [المغازي للواقدي ٢/ ٥٣١-٥٣٣].

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ أُنَيْسٍ ﷺ فِي ذَلِكَ:

تَرَكْتُ ابْنَ ثَوْرٍ كَالْحُوَارِ وَحَوْلَهُ ... نَوَائِحُ تَفْرِي كُلَّ جَيْبٍ مُقَدَّدِ (١)

تَنَاوَلْتُهُ وَالظُّعْنُ خَلْفِي وَخَلْفَهُ ... بِأَبْيَضَ مِنْ مَاءِ الحَدِيدِ مُهَنَّدِ (٢)

عَجُومٍ لِهَامِ الدَّارِعِينَ كَأَنَّهُ ... شِهَابٌ غَضًى مِنْ مُلْهَبٍ مُتَوَقِّدِ (٣)

أَقُولُ لَهُ وَالسَّيْفُ يَعْجُمُ رَأْسَهُ ... أَنَا ابْنُ أُنَيْسٍ فَارِسًا غَيْرَ قُعْدُدِ (٤)

أَنَا ابْنُ الَّذِي لَمْ يُنْزِلِ الدَّهْرُ قِدْرَهُ ... رَحِيبُ فِنَاءِ الدَّارِ غَيْرُ مُزَنَّدِ (٥)

---

(١) **الحوار**: ولد الناقة إذا كان صغيرًا. **تفري**: تقطع.

(٢) **الأبيض**: السيف. **المهند**: المنسوب إلى الهند.

(٣) **عجوم**: عضوض، يُقال: عجمه، إذا عضه. **الهام**: الرؤوس. **الشهاب**: القطعة من النار. **الغضى**: شجر يشتد التهاب النار فيه.

(٤) **القعدد**: اللئيم.

(٥) **لم ينزل الدهر قِدره**: القدر هو الإناء الذي يُطبخ فيه، ويعني هنا كرمه وجوده. **رحيب**: متسع. **المزند**: الضيق البخيل.

وَقُلْتُ لَهُ خُذْهَا بِضَرْبَةِ مَاجِدٍ حَنِيفٍ عَلَى دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ [١]
وَكُنْتُ إِذَا هَمَّ النَّبِيُّ بِكَافِرٍ سَبَقْتُ إِلَيْهِ بِاللِّسَانِ وَبِاليَدِ

[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٢١].

ثانيًا: العرض الأدبي للسرية [٢]:

خالد بن سفيان يجمع لغزو المدينة:

خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي، ثم اللحياني، زعيم من زعماء المشركين، شديد العداوة لرسول الله ﷺ، لم يكتف بكفره بالله وعبادته الأصنام، وتكذيبه للنبي ﷺ، وكراهيته له، وهذه كلها جرائم كبيرة، لم يكتف بها، وإنما صار يتصل بالقبائل الكافرة حول مكة والطائف، ويُهيجها على حرب رسول الله ﷺ، ويقنع زعماءها ورجالها بالاشتراك معه في جيش كبير كثير العدد، يتوجه به إلى المدينة، للقضاء على الإسلام والمسلمين، وقتل رسول الله ﷺ.

وكان خالد بن سفيان مقيمًا في منطقة (نخلة) ـ بين مكة والطائف ـ يتصل من هناك بالقبائل المختلفة، ويدعو من استجاب له منهم إلى الالتحاق بجيشه، والانضمام إلى معسكره.

وكان ينوي أن (يُجيِّش) عدة آلاف من رجال القبائل، ثم يتوجه بهم إلى غزو المدينة، والقضاء على المسلمين...

وعلم رسول الله ﷺ بما يفعله خالد بن سفيان الهذلي، وأنه على وشك التوجه إلى المدينة بما معه من آلاف القبائل العربية الكافرة لتنفيذ ما يريد!

فهل ينتظر رسول الله ﷺ هذه الجموع، حتى تأتي إلى المدينة ويحاربهم على مشارفها، أم يفاجئهم مفاجأة حكيمة مذهلة؟ يفرق بها جمعهم قبل أن يتحركوا؟!

كان رسول الله ﷺ حكيمًا، يتمتع ببعد النظر وحسن التصرف، وكان يفاجئ أعداءه الكفار مفاجآت مذهلة، يضعف بها قوتهم، ويفل بها جموعهم، ويحطم بها معنوياتهم، فلا يقفون أمامه!!

وسيرته الجهادية العملية مليئة بالأمثلة والشواهد والنماذج، التي تقرر هذه الحقيقة وتؤكدها!

الرسول ﷺ يكلف عبد الله بن أنيس ﷺ بقتله:

قرر رسول الله ﷺ أن يكلف أحد رجاله الأشداء؛ ليقوم وحده بعملية جهادية خاصة، يقتل خالد الهذلي في معسكره، وسط جنوده، لتتفرق الجموع الملتفة حوله!

---

(١) **الماجد**: الشريف. **الحنيف** (هنا): الذي مال عن دين الشرك إلى دين الإسلام.

(٢) صور من جهاد الصحابة ﷺ للخالدي ١٠٣-١١٧ بتصرف يسير.

إنها عملية خاصة هامة، وهي خطيرة ودقيقة، لا يصلح لها أي رجل شجاع من أصحابه، وكل أصحابه شجعان! إنها تحتاج إلى رجل يتصف بشجاعة نادرة ذات مستوى عال، لا يهاب العدو، ولا يخشى الرجال؛ لأنه سيسير وحده، ليس معه أخ ولا صديق، وسيدخل معسكر الكفار، الذي يعج بآلاف الرجال، وسيتولى قتل زعيمهم وسطهم!

إن رسول الله ﷺ يعلم مواهب وقدرات وكفاءات أصحابه، ويضع الرجل المناسب منهم في مكانه المناسب، ويكلف الصحابي الأكفأ والأقدر على القيام بالمطلوب.

اختار رسول الله ﷺ عبد الله بن أنيس ﷺ للقيام بهذه المهمة الجهادية العظيمة.

هو: عبد الله بن أنيس الجهني الخزرجي الأنصاري، كان من السابقين إلى الإسلام، أسلم قبل الهجرة، وشهد بيعة العقبة، وحضر المعارك والمشاهد مع رسول الله ﷺ.

وقد اشترك في عملية جهادية عظيمة، فكان أحد أفراد المجموعة الخزرجية المجاهدة، التي قتلت عدو الله (أبا رافع) ـ سلام بن أبي الحقيق ـ اليهودي في خيبر، وكان أمير تلك المجموعة عبد الله بن عتيك ﷺ.

أراد رسول الله ﷺ أن يقوم عبد الله بن أنيس ﷺ بالعملية الجهادية وحده؛ لأنها لا تحتاج إلى جيش، ولا إلى مجموعة صغيرة، إنما تحتاج إلى رجل واحد، يجتاز مواقع جيش الكفار، ليصل إلى قائدهم ابن نبيح الهذلي، فيقوم بقتله.

ولابد أن يتمتع هذا المجاهد بصفات خاصة، من الشجاعة والجرأة، وهدوء الأعصاب، وحسن التصرف، والذكاء والفطنة، وهذه صفات متوفرة في عبد الله بن أنيس ﷺ.

دعا رسول الله ﷺ عبد الله بن أنيس ﷺ، وأخبره أن خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي يجمع جموع القبائل الكافرة ليغزو المدينة، ويقضي على الإسلام والمسلمين، ومعسكره موجود في منطقة مكة، يتحرك منه متصلًا بالقبائل الكافرة، يعدهم ويمنيهم، ومن استجاب له يلتحق بمعسكره ويقيم معه، وقد جمع آلافًا من رجال القبائل، وهو على وشك التوجه إلى المدينة.

قال ابن أنيس ﷺ لرسول الله ﷺ: **أين هو؟**

فأخبره رسول الله ﷺ أن معسكره في (عُرَنة) في منطقة (نخلة)، وعرنة اسم الوادي المحازي لعرفات، ونخلة اسم لتلك المنطقة الواقعة بين عرفات ومكة، على طريق الطائف.

الرسول ﷺ يذكر لابن أنيس ﷺ علامة عجيبة للهذلي، قال ابن أنيس ﷺ: يا رسول الله! إني لا أعرف خالد بن سفيان الهذلي؛ لأني ما رأيته أو قابلته أو التقيت به من قبل، فصفه لي يا رسول الله حتى أعرفه!

فأخبره رسول الله ﷺ أن لابن نبيح الهذلي هيبة، وأن شخصيته كبيرة مؤثرة طاغية، وأنه عندما يراه عبد الله بن أنيس فسوف يهابه ويفرق منه ويخاف!

قال له رسول الله ﷺ: «**إنك إذا رأيته هبته، وفرقت منه، وذكرت الشيطان**».

إن ابن نبيح الهذلي شيطان من شياطين الإنس، وهو يُذكِّر بالشيطان، فمن رآه فإنه يتذكر الشيطان، والشيطان يلقي في نفسه المهابة والخوف منه، ولهذا يخاف الإنسان منه ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران].

استغرب عبد الله بن أنيس ﷺ مما يسمع من رسول الله ﷺ، فلماذا يخاف من ابن نبيح؟ إنه شجاع رابط الجأش، لم يسبق أن خاف من الرجال.

ولهذا قال لرسول الله ﷺ: **يا رسول الله، إنني ما فرقت من شيء قط! وما خفت من أحد، وأنا لا أهاب الرجال!**

وصدق ابن أنيس فيما قال عن نفسه، وإن الرسول ﷺ يعرف هذه الصفات فيه؛ ولهذا كلفه باغتيال ابن نبيح الهذلي! وهي صفات سامية عالية، لا تكون إلا في عظماء الرجال!

ومع اتصاف ابن أنيس ﷺ بهذه الصفات العالية، وتمتعه بهذا المستوى من الشجاعة، إلا أنه سيهاب ابن نبيح ويفرق منه عندما يقابله! جزم له رسول الله ﷺ بهذا.

ولذلك قال له ﷺ: «**بلى، ستفرق منه! وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته أصابتك قشعريرة ورعدة من الخوف**»!

أي أنه عندما يرى خالد بن نبيح فسوف يشعر بالخوف والفرق يدب في كيانه، ويحس برعدة في مفاصله، وقشعريرة تغشاه، يشعر بهذا وهو البطل الشجاع الذي لم يسبق له أن خاف من أحد، أو هاب أحدًا! فإذا كان هو سيشعر بهذا وهو من هو، فكيف سيكون غيره.

لقد كان الرسول ﷺ حكيمًا في تكليفه هو بهذه المهمة الجهادية!

وهي علامة عجيبة، يتعرف من خلالها ابن أنيس على خالد بن سفيان، إنه لن يخاف ولن يفرق إلا منه؛ ولهذا عندما يقابل رجلًا جبارًا شيطانًا، فيشعر بالرعدة والقشعريرة في كيانه، فليعلم أنه أمام مطلوبه!

الرسول ﷺ يأمر ابن أنيس ﷺ أن ينتسب لخزاعة:

وأراد عبد الله بن أنيس ﷺ أن يأخذ من رسول الله ﷺ إذنًا بأن يقول لابن نبيح بعض الكلام ليصل إليه، فقال له: **يا رسول الله! إنني لابد أن أقول شيئًا!** فقال له رسول الله ﷺ: «**قل ما بدا لك!**».

أي أنه لابد أن يقول بعض الكلام عن رسول الله ﷺ؛ ليطمئن إليه ابن نبيح ويأنس به، ويكون هذا تمهيدًا للتخلص منه، فأجاز له رسول الله ﷺ ذلك؛ لأن الحرب خدعة!

ثم أمر رسول الله ﷺ ابن أنيس ﷺ أن ينتسب إلى قبيلة خزاعة!

إن ابن أنيس أنصاري خزرجي، ولو انتسب إلى الأنصار فسوف يكتشف أمره، ويفشل في تحقيق مهمته، فلابد أن ينتسب إلى قبيلة أخرى!!

اختار له ﷺ أن ينتسب إلى قبيلة خزاعة! فلماذا؟

إن خزاعة قبيلة عربية كبيرة، تقيم في تلك المنطقة الواسعة، على الطريق إلى مكة، وكان خالد بن سفيان يتصل بزعمائها لينضم أفرادها إلى جيشه، وهي قبيلة كبيرة يصعب حصر أفرادها، فإذا قال ابن أنيس: أنا خزاعي، فيصعب التأكد من ذلك؛ لأن بطون خزاعة عديدة، فمن أي بطن هو؟

وبما أن مهمته الجهادية لا تحتاج إلى سلاح كثير؛ لأنها محصورة في قتل الشيطان ابن نبيح، فلم يأخذ معه إلا السيف فقط.

في مطلع شهر المحرم من السنة الرابعة من الهجرة، حمل عبد الله بن أنيس ﷺ سيفه، وغادر المدينة وحده، متوجهًا إلى منطقة نخلة، لتنفيذ مهمته.

وكان كلما رأى قبيلة، ينتسب إلى خزاعة، ويقول: أنا رجل خزاعي.

ابن أنيس ﷺ يصل معسكر الهذلي:

ومر على منطقة (قديد) ووجد فيها تجمعًا كبيرًا لخزاعة، فانتسب إلى خزاعة، فرحبوا به باعتباره واحدًا من قبيلتهم، وأخبرهم أنه متوجه إلى مكة، فعرضوا عليه أن يزودوه بالظهر ـ فرس أو جمل ـ ليقطع به المسافة إلى منطقة مكة، فأبى، وعرضوا عليه أن يرافقه أفراد منهم ليأنس بهم في الطريق، فأخبرهم أنه لا يحتاج إلى ذلك.

واصل عبد الله بن أنيس ﷺ سيره وحيدًا، وكلما قابل قبيلة أو مجموعة يخبرهم أنه ذاهب إلى خالد بن سفيان الهذلي للالتحاق بجيشه المتوجه إلى حرب المسلمين في المدينة!

وأخيرًا وصل ابن أنيس ﷺ إلى منطقة (عرنة) التي حددها له رسول الله ﷺ وهي مقر قيادة الهذلي.

ولما وصل (عرنة) وجد فيها معسكر الهذلي كبيرًا، يضم الكثير من أفراد القبائل الذين انضموا إليه، ويعدون بالمئات، وهم متفرقون في المنطقة، ينتظرون انضمام الآخرين إليهم، ليتوجهوا إلى غزو المدينة!

ودهش ابن أنيس ﷺ من الجموع الكثيرة التي يراها، وأدرك خطورة خالد بن سفيان على الإسلام والمسلمين، وأنه إن وصل بهذه الجموع إلى المدينة، فستكون المعركة عنيفة! وأدرك حكمة النبي ﷺ في تكليفه بقتل قائد هذه الجموع!

تجول عبد الله بن أنيس ﷺ في معسكر ابن نبيح يبحث عنه، وكان قد وصل المعسكر بعد أن صلى صلاة الظهر.

ونظر إلى رجل يمشي من بعيد، ومعه مجموعة من النساء، يريد أن يختار لهن موضعًا مناسبًا ينزلن فيه.

ابن أنيس ﷺ يَفْرَق من الهذلي:

ولما نظر إلى ذلك الرجل هابه وخاف منه وأحس بالقشعريرة والرعدة تسري في عروقه، وتذكر ما قاله له رسول الله ﷺ! إذن هو الآن أمام خالد بن سفيان، وهذه العلامة التي ذكرها رسول الله ﷺ قد تحققت.

فقال ابن أنيس في نفسه: صدق رسول الله ﷺ فها هو ما أخبرني عنه يتحقق في كياني!

كان الخوف الذي أصابه عَرَضًا زال سريعًا، والقشعريرة قصيرة لم تستمر إلا لحظة سريعة فزالت الرعدة والقشعريرة فورًا، ونتج عنها (عرق) غزير، صار يقطر من جسمه!

وخروج العرق من جسمه بعد خوفه وقشعريرته علامة على تجاوزه هذا الخطر، واسترداده لهدوئه ورباطة جأشه، وعودة شجاعته له، لقد تداركته رحمة الله، فأزال الله عنه الخوف والفرق العرضي، وأحل محله الطمأنينة واليقين، وهدوء الأعصاب وسكينة النفس، وهذه أمور ضرورية لبطل مجاهد، مقبل على عمل كبير!

ابن أنيس ﷺ يصلي العصر ماشيًا نحو الهذلي:

رأى ابن أنيس ﷺ خصمه بعد دخول وقت العصر، وهو على وضوء، وخشي أن تفوته صلاة العصر إذا التقى به، وحصلت مصاولة ومجاولة بينه وبينه! فماذا سيفعل؟

هل يؤخر الصلاة إلى ما بعد اجتماعه؟ وكيف سيصلي؟ إنه سيُقدم نفسه له باعتباره كافرًا منضمًا إلى جيشه لغزو المسلمين! فكيف يصلي أمامه صلاة المسلمين؟

هل يصلي الآن قبل أن يلتحق به؟ وكيف؟ لو أنه وقف واستقبل القبلة، وصلى صلاة عادية بقيام وركوع وسجود، فسيراه جنود الهذلي، ويلقون القبض عليه باعتباره مسلمًا عينًا لرسول ﷺ.

هل يترك الصلاة؟ باعتباره مكلفًا بمهمة جهادية؟ لا يجوز له ذلك؛ لأن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا!

هداه الله إلى تصرف رائع: يتوجه إلى خالد بن سفيان الذي كان بعيدًا عنه قليلًا، وفي أثناء سيره إليه يدخل في الصلاة، ينوي صلاة العصر، ويكبر تكبيرة الإحرام، وهو يمشي، فإذا أراد الركوع أو السجود أومأ برأسه إيماء، وأحناه قليلًا وهو يمشي!

ما أجمل هذه الصلاة التي يؤديها هذا المجاهد! يصلي وهو يمشي، ويركع ويسجد وهو يمشي، ينظر أثناء صلاته إلى (هدفه)وقلبه مشغول بذكر الله، وكيانه متصل بالله، على هذه الصورة العالية من الاتصال!

قال عبد الله بن أنيس ﷺ عن هذا المشهد من القصة: «... ثُمَّ عَدَلْتُ حَتَّى خَرَجْتُ عَلَى عُرَنَةَ، وَجَعَلتُ أُخْبِرُ مَنْ لَقِيت أَنِّي أُرِيدُ خَالدَ بْنَ سُفْيَانَ ؛ لأَكُونَ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِبَطْنِ عُرَنَةَ لَقِيتُهُ يَمْشِي، وَوَرَاءَهُ الأَحَابِيشُ وَمَنْ اسْتَجْلَبَ وَضَوَى إِلَيْهِ، ومَعَهُ ظُعُنٍ (النساء في الهوادج) يَرْتَادُ (يطلب) لَهُنَّ مَنْزِلًا، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ هِبْتُهُ، وَجَدْتُ مَا وَصَفَ لِي رَسُولُ الله ﷺ مِنْ قُشَعْرِيرَةٍ، وَرَأَيْتنِي أَقْطُرُ **عرَقًا!**، فَقُلْتُ: **صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ!** وَقَدْ دَخَلْتُ فِي وَقْتِ العَصْرِ حِينَ رَأَيْتُهُ، وَخَشِيتُ أَنْ تَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مُحَاوَلَةٌ (**المُحَاوَلَة**: طلب الشيء بحيلة) تَشْغَلُنِي عَنْ الصَّلَاةِ، فَصَلَّيْتُ وَأَنَا أَمْشِي نَحْوَهُ أُومِئُ بِرَأْسِي الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ!».

ابن أنيس ﷺ مع الهذلي:

ولما فرغ ابن أنيس ﷺ من صلاته، توجه نحو (الهدف)، ودنا من خصمه.

قال له خالد بن سفيان: **من أنت؟**

قال له: **أنا رجل من خزاعة، سمعت بجمعك لمحمد، واستعدادك لقتاله، فجئت إليك؛ لأكون جنديًا معك!**

قال خالد: **أجل، أنا أجمع الجموع لغزو المدينة، وقتال محمد!**

بقي على ابن أنيس ﷺ أن يتقرب إلى ابن نبيح، وأن يحادثه ويكلمه، ليأنس الأخير إليه، ويثق به، ليتمكن منه بعد ذلك.

مشى معه مسافة، وابن نبيح يتجول وسط معسكره، بين مضارب جنوده، وابن أنيس يحادثه ويسليه، وينشده الأشعار المختلفة، ويقص عليه القصص المسلية، ويسمعه الأقوال الحكيمة.

أنس ابن نبيح إلى ابن أنيس ﷺ، وأعجب به وبكلامه، واستمر ابن أنيس ﷺ يحدثه، إلى أن قال له: **يا ابن نبيح، عجبًا لما أحدث محمد من هذا الدين المحدث، فارق الآباء، وسفه أحلامهم!**

فرد عليه ابن نبيح قائلًا: **لقد حارب رجال كثيرون محمدًا، ولم ينتصروا عليه، وأنا صممت على حربه وقتاله والقضاء عليه! وأنا الذي سأقضي عليه، وأريح الناس منه!**

واستمرا يسيران، حتى ابتعدا عن رجاله، وانتهى ابن نبيح إلى خيمته، وهي بعيدة عن أصحابه.

دخل خيمته، ودخل ابن أنيس ﷺ معه، فقال له: هلم يا أخا خزاعة!

فجلس بجانبه، وحادثه وانبسط ابن نبيح معه، وتصرف على سجيته، ولاطفه وأكرمه، وبعد فترة من جلوسهما معًا أمر ابن نبيح جاريته أن تحلب له، ولما حلبت وناولته الحليب دفعه إلى ابن أنيس ﷺ فشرب منه قليلًا، ثم أعاده إلى ابن نبيح، فعب منه كما يعب الجمل، وشرب حتى ارتوى.

وغابت الشمس وهما جالسان يتحدثان، وحل الظلام، ومرت ساعات الليل، وهما يسمران، ونام الناس في الخيام الأخرى.

ابن أنيس ﷺ يقتل الهذلي في خيمته:

وبدأ النعاس يدب إلى خالد بن سفيان، وعبد الله بن أنيس ﷺ يرقبه، نعس الرجل واستأذن محدثه لينام، ونام الزعيم الذي يجمع الجموع للقضاء على رسول الله ﷺ، نام وهو يمني نفسه بذلك، ولعله كان يحلم بهذا!! وما دري هذا العدو المغرور أن الله له بالمرصاد، وأن الله سيسخر جنديًّا من جنوده ليهلكه ويقضي عليه بعد قليل! وأن هذا الجندي الرباني قريب منه، وجالس بجانبه!

نظر عبد الله بن أنيس ﷺ إلى خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي، فوجده نائمًا يغط في نومه، ونظر إلى نسائه القريبات منه فوجدهن نائمات، ونظر إلى جنوده ورجاله في الخيام فوجدهم نائمين.

نام جنود الباطل جميعًا، وبقي جندي الحق متيقظًا؛ لينفذ حكم الله في زعيم البغي والعدوان، وينصر دين الله.

وبعدما اطمأن إلى الأمر، استل سيفه، وأهوى به على خالد بن سفيان، وما هي إلا ضربة أو ضربتان حتى قضى عليه، وخمدت أنفاسه، وزهقت روحه.

حَزَّ رأسه بالسيف، وفصله عن جسمه، وحمله بيده، وتهيأ للخروج من الخيمة!

وبينما كان يهم بالخروج أحست إحدى نساء ابن نبيح بالحركة، فاستيقظت، ونظرت إلى الزعيم، فإذا به جسم بدون رأس، جثة هامدة، فصاحت، واستيقظت النساء على صيحتها، وصرن يصرخن ويولولن، ويبكين رجلهن القتيل.

وسمع الرجال الصراخ والعويل، واستيقظوا، ودبت الحركة في معسكر الكفار، وفوجؤوا بقائدهم قتيلًا، جثة بلا رأس!

وتوزعوا في المناطق المجاورة للمعسكر يبحثون عن القاتل الذي حمل الرأس معه!

ابن أنيس ﷺ مختبئ في غار في الجبل:

أما عبد الله بن أنيس ﷺ فإنه هرب سريعًا لما شعر بحركة النساء، وكان يجري حافيًا! لأنه من سرعته لم يتمكن من لبس حذائه، وكان معسكر ابن نبيح في سفح جبل.

ارتقى ابن أنيس الجبل، ووجد فيه غارًا، فدخل الغار، ودعا الله مخلصًا، وطلب منه أن يحميه في الغار، وأن يعمي عنه عيون الكافرين!

صعد الرجال المشاة والرجال الخيالة على خيولهم الجبل، يبحثون ويفتشون عن القاتل، وتوجه رجال آخرون إلى مناطق أخرى قريبة من المعسكر يفتشون!

وبينما كان ابن أنيس ﷺ في الغار جاء رجل من المشركين يبحث ويفتش، ووقف على باب الغار ولكن الله أعمى بصره، فلم ينظر داخل الغار! ولو نظر داخله لوجد ابن أنيس ﷺ فيه! ولكن الله حمى هذا الجندي الرباني المجاهد!

كان مع الرجل الكافر (إداوة) ضخمة، مملوءة بالماء، ومعه نعلان يحملهما بيديه ويمشي حافيًا!.

نظر ابن أنيس ﷺ إلى (إداوة) الماء والنعلين، فطمع فيهما! لأنه كان قد عطش عطشًا شديدًا، بسبب جريه وصعوده الجبل، وهو بحاجة ماسة إلى شربة ماء، وهو حافي القدمين، وسفره طويل إلى المدينة، وبحاجة إلى النعلين، فتمنى لو يستطيع أن يشرب من الإداوة! وأن يأخذ النعلين.

ويسَّر الله له ذلك، فأقبل الرجل نحو الغار وسط الظلام، وقال لأصحابه: ليس في الغار أحد، ثم شعر بالحاجة إلى قضاء الحاجة! فوضع الإداوة والحذاء جانبه وجلس يبول على باب الغار!

استغل ابن أنيس ﷺ قضاء الرجل للحاجة، وأخذ الإداوة وشرب ما فيها، ولبس الحذاء، وخرج من الغار تحت جنح الظلام.

وكتب الله له النجاة، فأنجاه من جموع الجنود، الذين انطلقوا يفتشون عليه في كل مكان، فحمد الله على ما أنعم به عليه من النجاح في تحقيق مهمته، وقتل زعيم معسكر الكفار المحاربين، ونجاته من بين جموعهم الباحثة عنه!

أما معسكر الكفار فقد انفض بعد مقتل قائدهم خالد بن سفيان الهذلي، فإنهم كانوا متجمعين من قبائل شتى، لا يجمعهم إلا الهذلي، فقد كان شخصية قيادية تجميعية، اجتمعت عليه القبائل، والتف حوله الجنود.

وقد كان رسول الله ﷺ حكيمًا عندما وجه الضربة إلى رأس هذا الجيش، وكلف ابن أنيس ﷺ بقتل الهذلي.

فما أن رأى رجالُ القبائل المجمَّعة في الصباح قائدهم قتيلًا، جثة بلا رأس، حتى تفرقوا، وعاد كل منهم إلى قبيلته.

وبذلك انفض ذلك الجمع الكافر، وأزال الله عن المسلمين الخطر، وكفاهم شر القتال، ورد الذين كفروا بغيظهم، لم ينالوا خيرًا.

ابن أنيس ﷺ يصل المدينة سالمًا وبشرى الرسول ﷺ له:

وأما عبد الله بن أنيس ﷺ فقد عاد إلى المدينة بعد نجاح مهمته الجهادية، وكان حذرًا في عودته، حريصًا على أن لا يراه أحد من المشركين؛ لأنه كان يحمل رأس خالد بن سفيان معه!.. لذلك كان يسير بالليل حيث لا يراه أحد، ويكمن في النهار، متواريًا عن عيون المشركين، حتى لا يراه أحد!

واصلَ عبد الله بن أنيس ﷺ سيره على هذه الصورة الحذرة، واجتاز تجمعات المشركين بين مكة والمدينة، بشجاعة وفطنة وحذر، وكتب الله له النجاة، ووصل المدينة سالمًا مفلحًا.

توجه إلى المسجد، فوجد رسول الله ﷺ في المسجد، فسلَّم عليه، فرد رسول الله ﷺ.

ثم بشَّره رسول الله ﷺ بما يسُرُّه، فقال له: «**أفلح الوجه**».

فقال ابن أنيس ﷺ: **ووجهك المفلح يا رسول الله!**

وهذه البشرى من الرسول ﷺ لابن أنيس ﷺ بشرى عظيمة، ملأته سرورًا وطمأنينة وسعادة، وهذه معان جليلة، لا تقف أمامها المشقات التي مرت به أثناء أداء مهمته الجهادية! لقد تضاءل ما مر به من سير وتعب وإرهاق، ومن جوع وعطش، ومن خوف وقشعريرة وفرَق، ومن جهد وسهر، وتفكير وحذر، إنها مشقات كثيرة، لكنها هينة أمام النتيجة: أن يكون مفلحًا.

إنها ضريبة الفلاح، والطريق الحتمية إليه، لا بد أن يقطفها، وأن يتحملها، وأن يصبر عليها، ويجاهد نفسه عليها، ويستعلي بهمته عليها؛ ليصل إلى غايته، وهي أن يفلح وجهه، ويكون رجلًا مفلحًا من المفلحين!

ولهذا سارع رسول الله ﷺ بتبشيره بالفلاح، جائزة ومكافأة له!

بعد ذلك أخبر ابن أنيس ﷺ رسولَ الله ﷺ، فقال: لقد قتلت خالد بن سفيان الهذلي يا رسول الله!

فقال له رسول الله ﷺ: «**صدقت**»!

فأخرج رأس الهذلي، ووضعه أمام رسول الله ﷺ، فكبر رسول الله ﷺ، وشكر الله على فضله، بأن خلصه من عدوه، الذي كان يجمع الجموع لغزوه وأراحه من شره!

ابن أنيس ﷺ يؤرخ للعملية الجهادية شعرًا:

وجلس عبد الله بن أنيس ﷺ مع أصحابه في المدينة، وأخبرهم بتفاصيل مهمته الجهادية الجليلة، منذ أن خرج من المدينة إلى أن عاد إليها، متحدثًا بنعمة الله.

وكان ابن أنيس ﷺ شاعرًا، فسجل خلاصة عمليته الجهادية، وأثبتها في أبيات من الشعر، تناقلها الرواة من بعده، وأثبتها الإخباريون والمؤرخون كما سبق بيانه.

الرسول ﷺ يخص ابن أنيس ﷺ بوسام عجيب:

ولما قدَّم عبد الله بن أنيس ﷺ تقريره عن تفاصيل عمليته الجهادية إلى رسول الله ﷺ، أخذ رسول الله ﷺ بيده، وأدخله بيته، وتناول من بيته عصا، ثم ناوله إياها، وقال له: «**امسك هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنيس**».

أمسكَ ابن أنيس ﷺ بالعصا، وهو لا يعرف المراد بها، ولماذا أعطاه إياها ﷺ، وخرج بها على الناس.

ولما رآه الصحابة يحملها قالوا له: ما هذه العصا؟

قال ابن أنيس ﷺ: لا أدري، لقد أعطانيها رسول الله ﷺ، وأمرني أن أمسكها عندي!

قالوا له: أفلا ترجع إلى رسول ﷺ فتسأله: لم أعطاك العصا؟ فرجع إلى رسول الله ﷺ فسأله: يا رسول الله! لماذا أعطيتني هذه العصا؟

فقال له ﷺ: «**احتفظ بهذه العصا؛ لتتخصر بها في الجنة، فإن المتخصرين في الجنة قليل، وهي آية وعلامة بيني وبينك يوم القيامة**»!

وهذه مزية لعبد الله بن أنيس ﷺ ميَّزه بها رسول الله ﷺ؛ لأنه قام بعملية جهادية عظيمة، قضى فيها على عدو من أقوى الأعداء وأشدهم عداوة.

إنه يأتي يوم القيامة يتخصر بهذه العصا، ويمشي متوكئًا عليها، لا لحاجته إليها، ولكنها علامة مميزة له، يُعرف بها من بين باقي المسلمين، فإذا رآه رسول الله ﷺ عرفه فأكرمه.

وعندما يدخل الجنة، يدخلها ومعه تلك العصا، يتوكأ عليها؛ لتكون وسامًا مميزًا له!

وقد احتفظ عبد الله بن أنيس ﷺ بتلك العصا، وقرنها بسيفه، ولم تزل معه طيلة حياته، ولما حضرته الوفاة أمر أن تُضم العصا إلى كفنه!! فضُمت معه في كفنه، ودفنت معه! رضي الله عنه وأرضاه.ا.هـ.

مصادر ومراجع للدراسة:

أ ـ كتب السنة: مجمع الزوائد للهيثمي (٨٠٧ هـ) ٦/ ٣٠٠-٣٠٣، الأساس في السنة لحوى (١٤٠٩هـ) ٢/ ٦١٤ -٦١٥.

ب ـ كتب السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي: مرويات الزهري (١٢٤هـ) في المغازي للعواجي ١/ ٤٠٩-٤١١، السيرة النبوية لابن إسحاق (١٥٢هـ) بتهذيب ابن هشام (٢١٨هـ) ٢/ ٦١٩-٦٢١ (ذكرها بدون تحديد تاريخ في فصل بعنوان: ذكر جملة السرايا والبعوث)، المغازي للواقدي (٢٠٧هـ) ٢/ ٥٣١-٥٣٣ (ذكرها بعد غزوة بني قريظة)، الطبقات الكبير (الكبرى) لابن سعد (٢٣٠ هـ) ٢/ ٤٧-٤٨، تاريخ الطبري (٣١٠هـ) ٢/ ٥٥٠-٥٥٥، دلائل النبوة للبيهقي (٤٥٨هـ) ٤/ ٤٠-٤٣ (بعد غزوة بني قريظة)، الاكتفاء للكلاعي (٦٣٤هـ) ٢/ ٤١٧-

٤١٩، تاريخ الإسلام للذهبي (٧٤٨هـ) ١/ ٣٤٦-٣٤٧، زاد المعاد لابن القيم (٧٥١هـ) ٣/ ٢٤٣-٢٤٤، البداية والنهاية لابن كثير (٧٧٤هـ) ٦/ ١٣٦-١٣٩ (بعد غزوة بني قريظة)، إمتاع الأسماع للمقريزي (٨٤٥هـ) ١/ ٢٥٦-٢٥٧ (بعد غزوة بني قريظة)، سبل الهدى والرشاد للصالحي (٩٤٢هـ) ٦/ ٥٧ -٦٢، السيرة الحلبية للحلبي (١٠٤٤هـ) ٣/ ١٥٦-١٥٧.

ج ـ كتب السيرة الحديثة: السيرة النبوية الصحيحة للعمري ١/ ٣٩٨، صحيح السيرة النبوية للعلي ٢٣٨، السيرة النبوية لرزق الله ٤٠٩، السيرة النبوية للصلابي ٢/ ١٧٦-١٨٠.

د ـ كتب الغزوات والسرايا: غزوة الأحزاب لباشميل ٢٦ -٢٩، السرايا الحربية في العهد النبوي لطنطاوي ٦٤ -٦٩، السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة لبريك ١٥٣-١٦٢، مرويات السرايا والبعوث النبوية للقرشي ٨٣-٩٦.

هـ ـ كتب أخرى: قادة النبي ﷺ لخطاب ١٨٧-١٩٥، صور من جهاد الصحابة ﷺ للخالدي ١٠٣-١١٨، فرسان من عصر النبوة لجمعة ٧٢٤-٧٣٩، رجال مبشرون بالجنة لجمعة ٤٦٥-٤٨٥.

خرائط سرية عبد الله بن أُنَيْس ﷺ لقتل خالد الهذلي

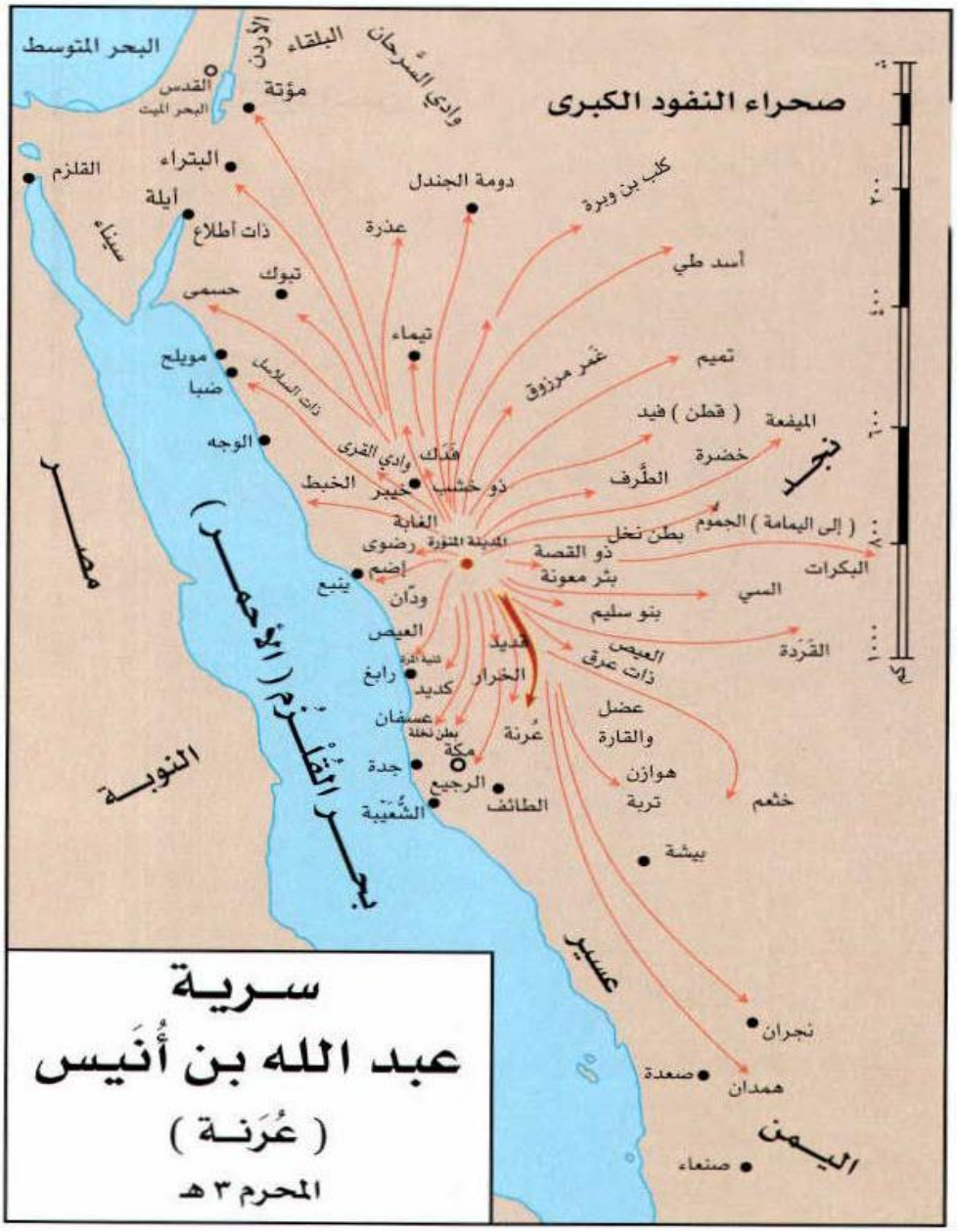

أطلس السيرة النبوية لأبي خليل ص ١٢٦.

ويُنظر خرائط سرية أبي سلمة ﷺ إلى قطن.